ظاهرة العدول عن الأصل في تفسير" التّحرير والتّنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور
سورة البقرة أنموذجا

Violating the rule in Mohammed Ettahre Ben Achour'sinterpretation "Ettahrir wa Ettanwir" Surat Elbakara as a sample

فضيلة عقون*[1]

المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة،(الجزائر)

البريد الإلكتروني: agoun.fadhila@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/03/13	تاريخ القبول:2024/06/28	تاريخ النشر:2024/06/30

الملخص:

يحكم اللغة العربية نظام ثابت يعرف بقواعد اللغة، وهذا النظام عندما يتقيّد به المتكلم يمكن أن يخرج إلى الاستعمال اللغوي دون أن يطرأ عليه تغيير، ويمكن أن يعتريه تحويل لعدة أسباب، فيدخل هذا التحويل أو التغيير ضمن ما يعرف بظاهرة العدول عن الأصل، وهذه الظاهرة كثيرا ما نجد مظاهرها في تفاسير القرآن الكريم، مثل تفسير "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور الذي تناولناه بالدراسة من خلال هذا المقال، إذ اخترنا سورة البقرة كأنموذج بهدف استخراج مظاهر العدول عن الأصل مع توضيح كيفية تعليل الطاهر بن عاشور للتغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة وتركيب الجملة، وخلصنا إلى كون الإعلال والإدغام من مظاهر العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي، أما في المستوى التركيبي فتمثلت مظاهر العدول عن الأصل في التقديم والتأخير والحذف.

الكلمات المفتاحية: العدول؛ تفسير؛ القرآن؛ ابن عاشور

* فضيلة عقون

Abstract :

The Arabic language is ruled by a fixed system, known as the linguistic rules.When the speaker strictly follows this system,it can be shifted to the linguistic use without any change as it can be changed for several reasons, which known as the phenomenon of violating therule. This phenomenon aspects are so common in Quran interpretations like Mohammed Ettahre Ben Achour'sinterpretation"Liberation and enlightenment", which is studied through this article. We've chosen Surat Albaqara, as a sample, for extracting out the violation aspects with clarifying the way Ettahre Ben Achour justifies the changes occurring in the word structure and the sentence syntax. We've concluded with the fact that vowels and stress are among the violation aspects, at the singular level, whereas at the syntactic level, the words displacement and omission are among the violation aspects.

key words: the violation ; the interpretation ; Quran ; Ben Ashour.

مقدمة:

عند استقراء النحاة لكلام العرب وجودوا مجموعة من الكلمات والجمل لا تنتمي– في الظاهر– إلى أبواب علمي الصرف والنحو، فبحثوا في هذا الأمر من خلال استقراء كلام العرب ثانية فوجدوها تنتمي إلى أبواب النحو والصرف ولكنها خرجت عن القواعد المعروفة، إذ حدث فيها تغيير وتحويل عند خروجها إلى الاستعمال اللغوي، فسميت هذه الظاهرة بـ: " العدول عن الأصل".

وهذه الظاهرة تتناثر مظاهرها في مختلف المؤلفات خاصة كتب تفسير القرآن الكريم نظرا للعلاقة الوطيدة بين علمي التفسير والنحو، إذ كثيرا ما يلجأ المفسر لعلمي النحو والصرف لتبيان معاني آي الذكر الحكيم، ومن هؤلاء المفسرين العالم الطاهر بن عاشور صاحب التفسير الموسوم بـ: " التّحرير والتّنوير"، وبناءً على ما سبق أردت أن أدرس ظاهرة العدول عن الأصل في كتاب " التحرير والتنوير" ، وانطلقت في ذلك من **الإشكالية** الآتية: ما مظاهر العدول عن الأصل في تفسير " التّحرير والتّنوير" ؟ وكيف علل ابن عاشور هذا العدول الصرفي والنحوي في أثناء تفسيره لسورة البقرة؟

وانطلقت هذا البحث من مجموعة فرضيات، منها:

- تتعدد مظاهر العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي في تفسير ابن عاشور منها:الإعلال والإبدال والإدغام، أمّا في المستوى التركيبي فالتقديم والتأخير سيكون في صدارة التحويلات في سورة البقرة.
- تنطلق تعليلات ابن عاشور للعدول عن الأصل في سورة البقرة من أساس منطقي مرتبط بالسياقات المختلفة والتدبر في معاني الآيات القرآنية.

ويصبو هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أذكر منها:

1- تبيان العلاقة بين علمي النحو والتفسير.

2- تحديد مظاهر العدول عن الأصل في المستويين الإفرادي والتركيبي.

3- توضيح كيفية تعليل ابن عاشور للعدول الصرفي والنحوي.

4- إظهار أثر العدول النحوي في توجيه المعنى.

ولتحقيق هذه الأهداف اتبعت منهجية خاصة في دراستي هذه، إذ عرفت في البداية ظاهرة العدول عن الأصل ثم بيّنت أهم أسباب حدوث هذه الظاهرة في اللغة العربية، ثمّ استخرجت أهم التحويلات التي طرأت على كلمات وتراكيب آيات سورة البقرة، وفي كل آية كنت أوضّح كيفية تعليل ابن عاشور لظاهرة العدول عن الأصل.

2. ماهية العدول عن الأصل

1.2 تعريف العدول عن الأصل:

العدول لغة: جاء في مقاييس اللغة: " العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنهما متقابلان كالمتضادّين، أحدُهما يدلّ على استواء والآخر يدل على اعوجَاج"[1].

العدول اصطلاحا: هو تعرَض اللغة التي تحكمها قواعد معيارية لمجموعة من التحويلات التي تطرأ على مفرداتها وجملها لأسباب معينة.

والعدول عن الأصل لا يكون في كل المواضع، فقد وضع النحاة مقاييس له، فالحذف مثلا لا " يكون إلا مع وجود الدليل، ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر، ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى"[2].

2.2 أسباب العدول عن الأصل:

- **أمن اللبس :**

" العبارة الملتبسة هي كل عبارة محتملة لأكثر من تأويل "[3]، ويعيق اللبس عملية التواصل إذ لا تتم بكيفية واضحة وسليمة، ونحن نعلم أن المتكلم يتوخى البيان في كلامه ويتفادى اللبس الذي يؤدي – لا محالة– إلى الخطأ في الفهم.

- **التخفيف:**

يقول الأستاذ محمد العياش: " لا حد للثقل إذا اعتبرنا العنصر الثقيل على حدة ولا حد للخفة إذا اعتبرنا العنصر الخفيف على حدة، ولكن الخفة نسبية تقاس بالثقل، والثقل نسبي يقاس بالخفة "[4]، وعلى هذا نفهم بأنه لا وجود لتعريف للخفة والثقل إذا نظرنا إلى كل واحد منها على حدة، لأنهما يرتبطان

ببعضهما البعض ارتباطا شديدا، فتعرّف الخفة على أنها ضد الثقل، ويعرّف الثقل بأنه ضد الخفة، وكل منهما يتعلق بالأداء النطقي للمتكلم، فهو إن تمكن من نطق الكلام بسهولة خرج به إلى الاستعمال غير محوّل، أي على أصله، أما إن اعترضته صعوبة في النطق به وشعر بثقل، لجأ إلى تحويله طلبا للخفة وبالتالي يصحبه عدول عن الأصل.

إن ما يشعر به المتكلم من ثقل في أثناء الأداء قد يكون على المستوى الإفرادي وقد يكون على المستوى التركيبي، أمّا على المستوى الإفرادي[5] فقد يكون سببه عدم وجود تجانس صوتي بين الحرف والحرف وهو راجع إلى التماثل بينهما إذ ينطق المتكلم الحرف ثم يعود وينطق بالحرف نفسه، مثل: (كلْلَم)، فيلجأ في هذه الحالة إلى إدغام الحرفين فيقول : (كلّم) فتحصل سهولة في النطق.

وقد يكون الثقل في هذا المستوى ناتجا عن اختلاف الحرفين في الصفة، مثل: (اصطبر) أصلها (اصتبر)، حيث اجتمع الحرفان:الصاد والتاء وهما مختلفان في الصفة، فوجب العدول عن الأصل عن طريق إبدال الطاء بالتاء ليحدث تجانس بينها وبين الصاد، فصارت:(اصطبر)، وقد يكون عدم التجانس الصوتي بين الحرف والحركة سببا في حدوث الثقل، فمثلا كلمة(صاوم) نتج عند نطقها ثقل بسبب عدم تحمل الواو للكسرة، مما يستلزم إحداث تحويل أو عدول عن الأصل عن طريق قلب الواو همزة، فتصبح: (صائم).

وأما الثقل في المستوى التركيبي[6] فسببه طول الجملة وكثرة عناصرها، وهو ما لا يحبذه المتكلم العربي لأنه يطلب الخفة ويتجنب التطويل المسبب للثقل، ومن أمثلة الثقل الناتج عن طول الجملة قولنا عندما نحذر شخصا يقترب منه ثعبان: احذر الثعبانَ الثعبانَ، فعندما ذكرنا جميع عناصر هذه الجملة أدى ذلك إلى إطالة نتج عنها ثقل، وبالتالي عدم الوصول إلى المقصود بسرعة، لذلك نلجأ إلى حذف الفعل (احذر)، فتصير الجملة بعد عدولها عن أصلها طلبا للخفة ومطابقة لمقتضى الحال: الثعبانَ الثعبانَ.

- تعذر النطق بالأصل:

يحدث تعذر النطق بالأصل عندما يلتقي ساكنان في مرحلة من مراحل العدول عن الأصل، مثل: سماء و قضاء، يقول ابن جنّي: "ألا ترى أن الأصل سماو وقضاي، فلما وقعت الواو والياء طرفاً بعد ألف زائدة قلبتا ألفين فصار التقدير بهما إلى سماا و قضاا، فلما التقت الألفان تحركت الثانية منهما فانقلبت همزة فصار ذلك إلى سماء، وقضاء، أفلا تعلم أن أحدهما قدرته – وهو التقاء الألفين– لا قدرة لأحد على النطق به"[7].

- وجود الدليل :

كل حذف في الكلام لا بد أن يكون لدليل، فمثلا قولك: " في الجامعة" في جواب من سأل: "أَيْنَ أخوك؟ والأصل: أخي في الجامعة، لأن الأصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، وقد يعدل عن هذا الأصل فيحذف شيء من الجواب لوجود دليل عليه. و كقولك : " في البيت" ، في جواب من سأل : "أَيْنَ أَبُوك؟" وقولك «راكبًا"، في جواب من سألك " كيف جئتَ ؟" و الأصل في ذلك " أبي في البيت ، وجئتُ راكبًا"[8].

– مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

مقتضى الحال " هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام، وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص"[9]، ويقصد بمطابقة الكلام لمقتضى الحال أن يكون كلام المتكلم متوافقا مع المقام أي أن يظهر كلام الناطق العربي وفق الصورة والهيئة التي تقتضيها الحال التي يقال فيها.

3. من مظاهر العدول عن الأصل في تفسير سورة البقرة

1.3 مظاهر العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي:

قال تعالى:﴿**وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ**﴾ (سورة البقرة،الآية 58):" خطايا جمع خطيئة ولامها مهموزة فقياس جمعها خطائئ بهمزتين بوزن فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة أو لأن في الهمزتين ثقلا فخففوا الأخيرة منهما ياء ثم قلبوها ألفا"[10] .

بيّن الطاهر بن عاشور أن كلمة خطايا حدث فيها تغيير وتحويل أو ما يعرف بالعدول عن الأصل، فأصلها خطائئ بهمزتين، ولمّا اجتمعت همزتان قلبت الهمزة الثانية ياء لأنها سبقت بكسرة أو نتج عن اجتماع الهمزتين ثقل أدى إلى قلب إحداهما ياء، ثمّ قلبت الياء ألفا ، لتقلب الهمزة ياء كآخر مرحلة وعليه يكون العدول عن الأصل قد وقع عبر ثلاث مراحل وأربع مراتب.

وهذه المراتب الأربعة ذكرها ابن جني في كتابه الخصائص، إذ قال:" فمن ذلك قولهم في خَطَايا:إنّ أصله كان "خَطَائِئ"، ثم التقت الهمزتان غير عينين فأبدلت الثانية على حركة الأولى، فصارت ياء: خطائي، ثم أبدلت الياء ألفا، لأنّ الهمزة عرضت في الجمع و اللام معتلة، فصارت: خطاءا فأبدلت الهمزة على ما كان في الواحد وهو الياء، فصارت: خطايا، فتلك أربع مراتب خطائِئ ثم خطائي، ثم خطاءا ثم خطايَا"[11].

قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة البقرة،الآية 124): " والذرية نسل الرجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته وهي مشتقة إما من الذّر اسما وهو صغار النمل، وإما من الذَّرّ مصدرا بمعنى التفريق، وإما من الذّرى والذَّرْو بالياء والواو وهو مصدر ذَرَت الريح إذا سفت، وإما من الذرء بالهمز وهو الخَلْق، فوزنها إما فُعْلِيَّة

بوزن النسب إلى ذر وضم الذال في النسب على غير قياس كما قالوا في النسب إلى دَهْر دُهْري بضم الدال، وإما فُعِّيْلة أو فُعُّولَة من الذرى أو الذرو أو الذرء بإدغام اليائين أو الياء مع الواو أو الياء مع الهمزة بعد قلبها ياء"[12].

ذكر الطاهر بن عاشور أن كلمة (ذُرّيَّة) يختلف أصلها و تتعدد معانيها باختلاف الاسم الذي اشتقت منه، فهي إمّا مشتقة من الذّرّ اسما وهو صغار النمل، أو من المصدر (الذَّرّ) ويقصد به التفريق أو هي مشتقة من الذّرى والذّرو وهو مصدر الفعل ذرت كذرت الريح الشيء إذا سفته وأطارته أو حملته فأثارته، وقد تكون مشتقة من الذرء بمعنى الخلق، وإن كانت من الذّرّ، فيجوز في وزنها ثلاثة أوجه:

الوجه الأوّل: أن يكون وزنها (فُعْلِيَّة)، "وتحتمل هذه الياء أن تكون لغير للنسب، وغيّروا الذال من الفتح إلى الضم كما قالوا في النسب إلى الدهر: دُهْري، وإلى السَّهل: سُهلي، بضم الدال والسين، وأن تكون لغير النسب فتكون كقُمرِيَّة" [13]

الوجه الثاني: أن يكون وزنها (فُعِّيْلة)، فيكون قد حدث فيها عدول عن الأصل، إذ أصلها: ذُرِّيْرة، ثم طرأت عليها تغييرات، حيث قلبت الراء الثانية ياء بسبب توالي الأمثال.

الوجه الثالث: أن يكون وزنها (فُعُّولَة)، فتكون نظير (سُبُّوح وقُدُّوس) ، وأصلها (ذُرُّوْرَة)، فحدث فيها عدول عن الأصل بثلاث مراحل، ففي المرحلة الأولى قلبت الراء ياء، فصارت: (ذُرُّوْيَة)، وفي المرحلة الثانية قلبت الواو ياء فصارت (ذُرُّيْيَة)، وفي المرحلة الثالثة أدغمت الياء الأولى في الثانية، فصارت (ذُرِّيَّة).

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ**﴾ (سورة البقرة،الآية 136): " وأحد أصله وحد بالواو ومعناه مفرد وهو لغة في واحد ومخفف منه وقيل هو صفة مشبهة فأبدلت واوه همزة تخفيفا ثم صار بمعنى الفرد الواحد فتارة يكون بمعنى ما ليس بمتعدد وذلك حين جرى على مخبر عنه أو موصوف نحو " قل هو الله أحد" [14].

ذهب ابن عاشور إلى أنّ أصل (أحد) هو (وحد)، إذ أبدلت الواو همزة، ثمّ أورد الرأي القائل بأن هناك فرقا بين (أحد) و (واحد) وهو لثعلب، إذ بيّن ثعلب أن (الواحد) يدخله العَدُّ والجمع والاثنان، أمّا (أحد) فلا يدخله ذلك، ويقال الله أحد، ولا يقال: زيد أحد، لأنّ لله تعالى هذه الخصوصية [15]، كقوله عز وجل: " قل هو الله أحد"(سورة الإخلاص، الآية 01).

وعليه يكون قد حدث في كلمة (أحد) عدول عن الأصل بمرحلة واحدة وبرتبتين.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ**

ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (سورة البقرة ،الآية 164) يقول الطاهر بن عاشور:" والرياح جمع ريح والريح بوزن فعْل بكسر الفاء وعينها واو انقلبت ياء لأجل الكسرة بدليل قولهم في الجمع أرواح وأما قولهم في الجمع رياح فانقلاب الواو فيه ياء كانقلابها في المفرد لسبب الكسرة "[16].

ذكر الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية أنّ الريح وزنها فِعْل، وأصلها (رِوْح)، وقلبت الواو ياء بسبب ثقل نتج عن الواو لسكونها وانكسار ما قبلها، وما يدل على أنّ أصل الياء واو هو قولنا في الجمع (أرواح)، كقول الشاعر زهير بن أبي سلمى[17] :

أربَّت بها الأرواحُ كل عشية فلم يبق إلا آل خيم مُنَضَّد

وأما كلمة (رياح) فقد حدث فيها التحويل نفسه، فأصلها (رواح) فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وعليه يكون قد حدث في كلمتي: ريح، رياح عدول عن الأصل عبر مرحلة واحدة وبمرتبتين.

وفي تفسير هذه الآية :**﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾** (سورة البقرة الآية 173) يقول ابن عاشور: "وقرأ أبو جعفر : فمن اضطر بكسر الطاء، لأن أصله اضطرر براءين أولاهما مكسورة فلما أريد إدغام الراء الأولى في الثانية نقلت حركتها إلى الطاء بعد طرح حركة الطاء"[18].

الفعل (اضطرّ) خماسي على وزن (افتعل) ، وأصله (اضترّ)، حيث أبدلت التاء طاء لأنها وقعت بعد حرف من حروف الإطباق، وقرأ الجمهور (اضْطُرَّ) بضم الطاء، بينما قرأ أبو جعفر بكسرها باعتبار أن أصلها (اضْطُرِرَ)، فلما اجتمعت راءان أدغمت الراء الأولى في الثانية، ونقلت حركة الراء (الكسرة) إلى الطاء بعد سلبها حركتها، فصارت (اضطِرّ)[19]، وعلى القراءتين تكون كلمة (اضطرّ) قد حدث فيها عدول عن الأصل تمثّل في الإدغام، وحصل عبر مرحلة واحدة وبمرتبتين.

قال تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾** (سورة البقرة ،الآية 247) يقول ابن عاشور: " وهذا الملك هو الذي سمى في الآية " طالوت" وهو " شاول" وطالوت لقبه، وهو وزن اسم مصدر: من الطول ، على وزن فعَلوت مثل جَبَروت وملكوت ورهبوت ورغبوت رحموت، وطالوت وصف به للمبالغة في طول قامته، ولعله جعل لقبا له في القرآن للإشارة إلى الصفة التي عرف بها لصمويل...ووزن فَعَلوت وزن نادر في العربية ولعله من بقايا العربية القديمة السامية، وهذا هو الذي يؤذن به منعه من الصرف، فإن منعه من الصرف لا علة له إلا العلمية والعجمة" [20].

طالوت من الأسماء الممنوعة من الصرف، وردّ الطاهر بن عاشور السبب في ذلك إلى العلمية والعجمة، ووزنه (فَعَلُوت) مثل جبروت وملكوت ورهبوت، وعليه يكون أصل (طالوت) هو (طَوَلُوت) حيث

حدث فيها عدول عن الأصل وكان بقلب الواو ألفا، وأشار ابن عاشور أنه مشتق من الطول، حسب ما روي في قصة أنه كان أطول رجل في زمانه، إلا أن هذا القول مردود بأنه لو كان مشتقا من الطول لكان ينبغي أن ينصرف، إذ ليس فيه إلا العلمية، وقد أجابوا عن هذا بأنه وإن لم يكن أعجميا ولكنه شبيه بالأعجمي، من حيث إنه ليس في أبنية العرب ما هو على هذه الصيغة، وهذا كما قالوا في حمدون وسراويل ويعقوب وإسحاق عند من جعلهما من سحق وعقب[21].

وعليه تكون كلمة (طالوت) قد حدث فيها عدول عن الأصل عبر مرحلة واحدة وبمرتبتين:

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ**﴾ (سورة البقرة،الآية 255): " الحيّ صفة مشبهة من حيي ، أصله حيي (كسر الوسط وضم الآخر) كحذر أدغمت الياءان، وهو يائي باتفاق أئمة اللغة..... والقيّوم فيعول من قام وهو وزن مبالغة، وأصله قيْوُوم فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمتا" [22].

اختلف في أصل كلمة (حيّ)، فمنهم من قال بأن أصلها (حيي) بياءين، والدليل قولنا: (يحيا) في زمن المضارع، وهو رأي أبو البقاء[23]، ووافقه في ذلك الطاهر بن عاشور، والذي أعطى حركات حروف هذه الكلمة وذكر نظيرا لها، وهو (حذر) أي كسر الوسط وضم الآخر، ولمّا اجتمعت ياءان أدغمت الأولى في الثانية، وأشار الطاهر بن عاشور إلى أنّ الياء الثانية أصلية، إشارة إلى وجود رأي آخر يقول بأن أصل هذه الياء واو، أي: (حيُو) فلامه واو وليست ياء، ثمّ قلبت هذه الواو ياء، فصارت (حيي) لتدغم بعد ذلك الياء الأولى في الثانية.

وأمّا كلمة (قَيُّوم) فهي مشتقة من الفعل (قام) الذي أصله (قَوَم) لأنّنا نقول في المضارع (يقوم) وعليه فأصل الألف واو، وبذلك تكون كلمة (قَيُّوم) قد خرجت إلى الاستعمال على غير أصلها، إذ حدث فيها تحويل أو ما يعرف بالعدول عن الأصل، لأن أصلها (قَيْوُوم) على وزن (فَيْعُول)، وقلنا سابقا إنها مشتقة من الفعل (قوم) فتكون حروفها الأصلية هي: القاف، الواو، الميم، أما الياء والواو الثانية فهي زائدة، ولكن نظرا لاجتماع الواو والياء الذي أدى إلى حدوث ثقل في أثناء النطق فقد قلبت الواو ياء فصارت (قيْيُوم) ولمّا اجتمعت ياءان أدغمت الأولى في الثانية، فصارت (قَيُّوم).

2.3 مظاهر العدول عن الأصل في المستوى التركيبي:

- التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير من مظاهر النظم، والنظم عند عبد القاهر الجرجاني "تعليقُ الكَلم بعضها ببعضٍ وجعلُ بعضها بسببِ بعضٍ"[24]، ويؤكد أن"نظم الكلام يقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس"[25]، ويرى الباقلّاني أن القرآن الكريم معجز بالنظم فيقول: " فأما شَأو نظم القرآنِ

فليس له مثالٌ يحتذَى عليه، ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقًا كما يتَّفقُ للشاعرِ البيت النَّادر والكلمة الشَّاردة والمعنَى الفذِّ الغريب والشيء القليل العجيب"[26].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن التقديم والتأخير هو "باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سببا أن راقك، ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[27].

و" الألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها، أدى ذلك إلى إبراز المعنى في قوة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفق وحياة"[28].

وما كان لكلمة أن تتقدم من مكانها في كتاب الله المعجز دون غاية معنوية أو هدف دلالي أو غرض بلاغي"[29]، وفي تفسير "التحرير والتنوير" بيّن الطاهر بن عاشور مظاهر الإعجاز البلاغي من خلال التقديم والتأخير، إذ قال في تفسير هذه الآية :﴿ **وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ**﴾ سورة البقرة، الآية 04): " تقديم للمجرور الذي هو معمول يوقنون على عامله، وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة، وأرى أن في هذا التقديم ثناء على هؤلاء بأنهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم بمفيد حصرا إذ لا يستقيم معنى الحصر هنا بأن يكون المعنى أنهم يوقنون بالآخرة دون غيرها، وقد تكلف صاحب الكشاف وشارحوه لإفادة الحصر من هذا التقديم ويخرج الحصر عن تعلقه بذات المحصور فيه إلى تعلقه بأحواله وهذا غير معهود في الحصر "[30].

أعطى الله جل وعلا في الآيات الأولى من سورة البقرة صفات المتقين فهم المؤمنون بالغيب ومقيمو الصلاة، والذين ينفقون أموالهم، ولا يبخلون بها على المحتاجين، والمؤمنون بالكتب السماوية والذين تمتلئ قلوبهم باليقين الذي يجعلهم يؤمنون بوجود حياة بعد الدنيا ألا وهي الآخرة، ولأن الإيمان بالآخرة من أكثر الصفات التي ترفع من شأن المؤمنين باعتبارها تتعلق بالغيب، فقد حصل تقديم لشبه الجملة (وبالآخرة) على " هم يوقنون" ، وأوضح الطاهر ابن عاشور أن هذا الغاية من هذا التقديم هي الاهتمام بأمر المتقدم ورعاية تطابق الأواخر، وما يؤكد هذا المعنى هو مجيء الجملة اسمية بعد المجرور فـ " هم " مبتدأ و" يوقنون " خبر، وعارض الطاهر بن عاشور رأي الزمخشري في كون التقديم هنا يفيد الحصر[31] وحجته في ذلك أن معنى الحصر لا يستقيم لأنهم بذلك سيوقنون بالآخرة دون غيرها.

وبما أنه حدث تقديم المجرور في هذه الآية، يكون العدول عن الأصل قد حدث بمرحلة واحدة، وعلة هذا العدول هو الاهتمام بأمر المتقدم ورعاية الفاصلة.

ويقول في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (سورة البقرة ، الآية 06): " تردد النحاة في إعرابه وأظهر ما قالوه وأسلّمه أن (سواء) خبر مقدم وأن الفعل الواقع بعده مقترنا بالهمزة في تأويل مبتدأ لأنه صار لمنزلة المصدر إذ تجرد عن النسبة وعن الزمان، فالتقدير في الآية سواء عليهم إنذارك وعدمه" [32].

اختلف النحاة في إعراب سواء، فذهب فريق منهم أن سواء " خبر إنّ و(أنذرتهم أن لم تنذرهم) في موضع الرفع به على الفاعلية، كأنه قيل: إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه" [33] وذهب فريق آخر إلى إعراب سواء خبرا مقدما و الفعل الواقع بعده مقترنا بالهمزة في تأويل مبتدأ، والتقدير " سواء عليهم إنذارك وعدمه"، وهو الرأي الذي أيده الطاهر بن عاشور، وعليه يكون قد حدث عدول عن الأصل، إذ تقدم الخبر على المبتدأ والأصل أن يتأخر عن المبتدأ، وهذا التقديم جائز كون المبتدأ فيه ضمير يعود على شيء في الخبر.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ (سورة البقرة،الآية 08) يقول الطاهر بن عاشور: " قوله (ومن الناس) خبر مقدم لا محالة وقد يتراءى أن الإخبار بمثله قليل الجدوى لأنه إذا كان المبتدأ دالا على ذات مثله، أو معنى لا يكون إلا في الناس كان الإخبار عن المبتدأ بأنه من الناس أو في الناس غير مجد بخلاف قولك الخَضِر من الناس، أي لا من الملائكة فإن الفائدة ظاهرة، فوجه لإخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ...إن القصد إخفاء مدلول الخبر عنه كما تقول قال هذا إنسان وذلك عندما يكون الحديث يكسب ذما أو نقصانا...وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأن في تقديمه تنبيها للسامع على عجيب ما سيذكر،وتشويقا لمعرفة ما يتم له الإخبار "[34].

كان المنافقون من أهل الكتاب إذا لقوا المؤمنين يتظاهرون بأنهم من أتباع محمد، وأنهم يؤمنون بما أنزل عليه ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض كانوا غير ذلك، إذ يتكلمون بالسوء عن النبي عليه الصلاة والسلام وينكرون رسالته، وبيّن الطاهر بن عاشور أن الله تعالى لم يذكرهم في هذه الآية بل قال جل وعلا (من الناس) فيُفْهم بأنه ستساق في شأنهم قصة مذمومة فيها إنقاص من قيمة المقصود، بحيث يستحي المتكلم أن يصرح بموصوفها وفي ذلك تحقير شأنهم، وقدّم الخبر (من الناس) على المبتدأ " من " وتحتمل " من " أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة، واستضعف أبو البقاء أن تكون موصولة، قال: "لأن الذي يتناول قوما بأعيانهم، والمعنى هنا الإبهام "[35] . وأوضح الطاهر بن عاشور أن الغرض من التقديم هو تنبيه السامع على ما سيذكر، وتشويقه لمعرفة ما سيخبر عنه، وعلى ذلك يكون العدول عن

الأصل في قوله (من الناس من يقول) قد تمّ بمرحلة واحدة تتمثل في تقديم الخبر على المبتدأ وعلته تنبيه وتشويق المخاطب.

قال تعالى :﴿ **يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ**﴾ (سورة البقرة،الآية 40) يقول ابن عاشور:" تقديم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى ويكون النهي من رغبة غيره حاصلا بالمفهوم فإنهم إذا رهبوا الله تعالى حرصوا على الإبقاء بالعهد ولما كانت رهبتهم أحبارهم تمنعهم من الإبقاء بالعهد أدمج النهي عن رهبة غير الله مع الأمر برهبة الله تعالى في صيغة واحدة"[36].

الأصل في المفعول به أن يأتي بعد الفعل والفاعل فهذه رتبته الأصلية، ولكن قد يحدث خروج وعدول عن هذا الأصل فيتقدم المفعول به عن الفعل والفاعل وهو ما حدث في قوله تعالى " وإيّاي فارهبون" فـ" إيّاي" مفعول به مقدم و" ارهبون" فعل وفاعل، وحسب الطاهر بن عاشور فقد حصل التقديم هنا بغرض الاختصاص، فالرهبة تكون من الله فقط دون غيره، وهو نظير قوله تعالى: " إيّاك نعبد " إذ تقدم المفعول به بغرض الحصر، فالعبادة تكون لله تعالى وحده.

وتقدم المفعول به " إيّاي" لغرض الاختصاص قال به الزمخشري[37]، وعارضه كل من أبي حيان وابن الأثير، فعزاه الأول إلى العناية والاهتمام[38]وعزاه الثاني إلى مراعاة نظم الكلام[39].

قال تعالى :﴿**وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة البقرة ، الآية 124)، يقول الطاهر بن عاشور:" وتقديم المفعول وهو لفظ إبراهيم لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم رب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل وإذ ابتلى اللهُ إبراهيمَ "[40].

تقدم المفعول به على الفاعل في قوله تعالى: " وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه"، فـ (ابتلى) فعل ماض و(إبراهيم) مفعول به مقدم، و(رب) فاعل مؤخر، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه وتعود هذه الهاء على إبراهيم.

ويقف وراء هذا العدول عن الأصل سببان أو علتان:

سبب معنوي: إن التقديم كان تنبيها على ذكر الابتلاء، وتعظيم ما نزل بإبراهيم أو بمكانته عند الله تعالى.

سبب صناعي: وجوب تقديم المفعول على الفاعل، بسبب اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول به .

وقد أنشد ابن مالك[41] أبياتا كثيرة تأخر فيها المفعول المتصل ضميره بالفاعل،منها قول السفاح بن بكير اليربوعي:

لما عصى أصحابُه مصعبا أدى إليه الكيل صاعا بصاع

إذًا، حدث عدول عن الأصل في هذه الآية بالتقديم والتأخير لسببين، وجرى عبر مرحلة واحدة.

- الحذف:

الحذف هو " إسقاط عنصر من عناصر النص سواء كان كلمة أو جملة أو أكثر على أن يكون الإسقاط لغرض من الأغراض البيانية مع وجود قرينة تدل على ذلك"[42]، ويؤكد ابن جني أن العرب قد " حذفت الجملة، والمفرد والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[43].

ويعد الإعجاز " السمة البارزة التي امتاز بها القرآن الكريم على سائر كلام البشر، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم، هو مظهر من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم"[44] ، و" حدّ الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[45].

وفي تفسير "التحرير والتنوير" بيّن الطاهر بن عاشور مواضع الحذف في سورة البقرة وأغراضه البلاغية، ومن ذلك ما قاله في تبيان معنى هذه الآية: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ (البقرة،الآية 18): " أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير " مثلهم"...وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفا بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع فيقولون: فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان"[46] .

وضّح الطاهر بن عاشور موضع العدول عن الأصل في هذه الآية، فجعل كلا من الكلمات الآتية : (صم ، بكم ، عمي) هي أخبار لمبتدأ محذوف تقديره " هم" أي: هم صم بكم عمي، فكان الخروج عن الأصل بواسطة حذف المبتدأ أو المسند إليه وهو شائع في هذا المقام في استعمال العرب الذين يحذفون الموصوف إذا ذكروا له أوصافا أو أخبارا وكأنه معروف عند السامع أو المتلقي.

قال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(سورة البقرة، الآية 23)، يقول الطاهر بن عاشور: " وجواب الشرط محذوف تدل عليه جملة مقدرة بعد جملة " وادعوا شهداءكم من دون الله" إذ التقدير فتأتون بسورة من مثله ودل على الجملة المقدرة قوله قبلها " فأتوا بسورة من مثله" وتكون الجملة المقدرة دليلا على جواب الشرط فتصير جملة إن كنتم صادقين تكريرا للتحدي"[47].

تحدى الله سبحانه وتعالى المشركين الذين يشكون في القرآن المنزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن يأتوا بسورة من مثله، وهو الأمر الذي عجز عن فعله فصحاء الكفار، فلو اجتمعوا جميعا ليأتوا بسورة لن يتمكنوا من ذلك، فهو كلام خالق الأكوان الذي ليس كمثله شيء فكيف لهم أن يجاروه في

كلامه، ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم مواطن الحذف في العديد من آياته،وهو ما بيّنه الطاهر بن عاشور في هذه الآية، فقوله تعالى (إن كنتم صادقين) جملة الشرط وجوابها محذوف تقديره (فافعلوا ذلك) ودلت عليه جملة مقدرة بعد جملة (وادعوا شهداءكم من دون الله) إذ التقدير (فتأتون بسورة من مثله) وهذه الجملة المقدرة هي دليل على جواب الشرط، فتصبح جملة (إن كنتم صادقين) تكرارا للتحدي ليأتوا بسورة من مثل سور القرآن الكريم .

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ (سورة البقرة، الآية71): " عطفت الفاء جملة فذبحوها على مقدر معلوم وهو فوجدوها أو فظفروا بها أو نحو ذلك وهذا من إيجاز الحذف الاقتصاري" [48].

أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، غير أنهم لم يتقبلوا هذا الأمر واعتبروها سخرية، لكن سيدنا موسى استعاذ بالله أن يكون من المستهزئين، بدأ العناد يسيطر على تصرفاتهم وردود أفعالهم فطلبوا من موسى أن يدعو الله ليبين لونها ثم صفات أخرى غير ما سبق، و بعد طول عناد ومراوغة وبعد أن بحثوا عنها وجدوها فاضطروا إلى ذبحها، ولم يذكر الله تفاصيل هذه الحادثة بل جاءت موجزة مقتصرة على أهم الأحداث، لذلك وقع حذف فيها، وهو ما بيّنه الطاهر بن عاشور عندما قدّر محذوفا قبل قوله تعالى: " فذبحوها" أي: فوجدوها أو ظفروا بها ، وكان الغرض من هذا العدول عن الأصل هو الإيجاز.

قال تعالى: ﴿**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ (سورة البقرة،الآية135) يقول ابن عاشور: "وانتصب ملة بإضمار تتبع لدلالة المقام لأن كونوا هودا بمعنى اتبعوا اليهودية"[49].

قرأ الجمهور " ملة إبراهيم " نصبا ، وذكر السمين الحلبي في إعرابها أربعة أوجه[50]:

الوجه الأول: مفعول فعل مضمر.

الثاني: أنه منصوب على خبر كان، أي بل نكون ملة، أي: أهل ملة، وهو قول الزجاج [51]، وتبعه الزمخشري[52].

الثالث: منصوب على الإغراء، أي : الزموا ملة وهو قول أبي عبيدة[53].

الرابع: أنه منصوب على إسقاط حرف الجر، والأصل: نقتدي بملة إبراهيم، فلما حذف الحرف انتصب.

والواضح من قول الطاهر بن عاشور أنه من أنصار الوجه الأول، أي " ملة" مفعول به لفعل مضمر تقديره " تتبعْ"، وما يدل على ذلك المقام، لأن المقصود من (كونوا هودا) هو اتبعوا اليهودية أو النصرانية.

وعليه فقد حدث عدول عن الأصل في قوله " قل بل ملة إبراهيم" وكان بواسطة الإضمار، ودل على المضمر السياق أو المقام.

ويظهر المقام مرة أخرى ليكون سببا في الحذف ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾ (سورة البقرة، الآية148)، يقول الطاهر بن عاشور: " وحذف ما أضيف إليه " كل" هنا لدلالة المقام عليه وتقدير هذا المحذوف (أمة) لأن الكلام كله في اختلاف الأمم في أمر القبلة "[54].

حدث عدول عن الأصل في قوله تعالى: " ولكلٍّ وجهة " ويتمثل هذا العدول في حذف المضاف إليه لدلالة المقام عليه، وقدّره الطاهر بن عاشور بـ" أمة" باعتبار أن اختلاف الأمم في قضية القبلة فدعا الله عز وجل الأمة الإسلامية للقيام بالخيرات والأعمال الصالحة، والله قادر أن يجمع الناس من أي مكان يتواجدون فيه، فهو على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿**وَلَوۡ تَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ**﴾ (سورة البقرة،الآية 165)، يقول الطاهر بن عاشور: "وجواب لو محذوف لقصد التفخيم وتهويل الأمر لتذهب النفس في تصويره كل مذهب ممكن ...حذف الجواب في مثل هاته المواضع أبلغ وأدل على المراد بدليل أن السيد إذا قال عبده لئن قمتُ إليك ثم سكت تزاحم على العبد من الظنون المعترضة للتوعد ما لا يتزاحم لو نص على ضرب من العذاب، والتقدير على قراءة نافع وابن عامر لرأيت أمرا عظيما وعلى قراءة الجمهور لرأوا أمرا عظيما"[55].

قرأ نافع وابن عامر (إذ تَرَوْن) وقرأ ابن عامر (إذ يُرَوْن) بضم الياء، وقرأ الباقون بالفتح[56]، وهذا الاختلاف في القراءات أدى إلى الاختلاف في تقدير جواب (لو) المحذوف، وذكر الطاهر بن عاشور أن التقدير على قراءة نافع وعامر: (لرأيت أمرا عظيما)، أما التقدير على قراءة الجمهور: (لرأوا أمرا عظيما) ثمّ بيّن ابن عاشور أن الغرض من هذا العدول عن الأصل المتمثل في حذف جواب (لو) هو التفخيم والتهويل، وهو ابلغ من الذكر، حيث يحتار العبد في نوع العذاب وتتزاحم عليه التصورات والظنون فيصير الحذف في مثل هذا الموضع أبلغ وأدل على المقصود.

قال تعالى:﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ**﴾ (سورة البقرة، الآية 229) يقول ابن عاشور: "وإمساك خبر مبتدأ محذوف، تقديره فالشأن أو فالأمر إمساك بمعروف أو تسريح"[57].

اختلف في إعراب " إمساك"[58] ، فمنهم من جعله مبتدأ خبره محذوف متقدما تقديره: فعليكم إمساك وقدّره ابن عطية متأخرا ، تقديره: فإمساكُ أمثلُ وأحسنُ[59]، ومنهم من جعله خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: فالواجب إمساك، ومنهم من عَدَّهُ فاعلا لفعل محذوف ،أي: فليكنْ إمساكٌ بمعروف.

ومن خلال قول ابن عاشور يتضح أنه من مؤيدي الوجه الثاني في إعراب " إمساك" فقد جعل هذه الكلمة خبر مبتدأ محذوف، تقديره فالشأن والأمر إمساك بمعروف، وعلى هذا يكون قد حدث في تركيب (فإمساك بمعروف) عدول عن الأصل والذي تمثل في حذف المبتدأ .

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ**﴾ (البقرة 182): " واللام المقدرة قبل أن متعلقة بالخبر المحذوف في جملة جواب الشرط إذ التقدير فرجل وامرأتان يشهدان أو فليشهد رجل وامرأتان ، وقرؤوه بنصب " فتذكر" عطفا على " أن تضل" وقرأه حمزة بكسر الهمزة على اعتبار إن شرطية وتضل فعل الشرط، وبرفع تذكر على أنه خبر مبتدأ محذوف بعد الفاء لأن الفاء تؤذن بأنّ ما بعدها غير مجزوم والتقدير فهي تذكرها الأخرى على نحو قوله تعالى " ومن عاد فينتقم الله منه"[60].

وقع في هذه الآية عدول عن الأصل من خلال موضعين، فالموضع الأول كان في قوله تعالى: (فرجل وامرأتان) إذ وضّح ابن عاشور أن رجل مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فرجل وامرأتان يشهدان، أما الموضع الثاني فكان العدول فيه عن الأصل من خلال الحذف أيضا، وحدث في قوله تعالى: (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) وذلك استنادا على قراءة حمزة بكسر (إن) على أنها شرطية [61] فيكون جواب الشرط فيها (فتُذَكّرُ)، ورفع الفعل لأنه سبق بمبتدأ محذوف بعد الفاء، والتقدير: فهي تُذَكّرُ.

4. خاتمة:

يطيب لنا في ختام هذا المقال أن نشير إلى أهم النتائج، إضافة إلى تقديم بعض من الاقتراحات:

النتائج:

- العدول عن الأصل هو مجموعة من التحويلات التي تطرأ على قواعد اللغة العربية.
- من أسباب العدول عن الأصل: أمن اللبس والتخفيف وتعذر النطق بالأصل ووجود الدليل ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- تتمثل مظاهر العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي في تفسير الطاهر بن عاشور لسورة البقرة في الإعلال والإدغام.
- أسباب العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي: التخفيف وتجنب الثقل.
- حدث العدول عن الأصل في المستوى الإفرادي عبر مرحلتين في مواضع وعبر ثلاث مراحل في مواضع أخرى.

- تتمثل مظاهر العدول عن الأصل في المستوى التركيبي في تفسير الطاهر ابن عاشور لسورة البقرة فيما يلي:
  - التقديم والتأخير: تقديم المجرور وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول به على الفاعل.
  - الحذف: حذف المبتدأ وحذف جملة جواب الشرط وحذف المضاف إليه.
- من أسباب العدول عن الأصل بواسطة التقديم والتأخير: الاهتمام بأمر المتقدم ورعاية الفاصلة وتنبيه وتشويق المخاطب والاختصاص والاهتمام بالمتقدم وتشريفه.
- من أسباب العدول عن الأصل بواسطة الحذف: الإيجاز والتفخيم والتهويل ودلالة المقام.
- حدث العدول عن الأصل في المستوى التركيبي بمرحلة واحدة .

الاقتراحات:

- استخراج مظاهر العدول عن الأصل في باقي أجزاء تفسير التحرير والتنوير.
- ربط ظاهرة العدول عن الأصل في تفسير التحرير والتنوير بتوجيه المعنى.
- البحث فيما تبقى من أجزاء هذا التفسير عن العلل التي أدت إلى تحويل أصل الوضع وتصنيفها في المستويين الإفرادي والتركيبي.
- الاهتمام بدراسة التوجيهات النحوية والصرفية والبلاغية في تفاسير القرآن لتبيان علاقة هذه العلوم الثلاثة بتفسير آيات الذكر الحكيم.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1- أحمد، ابن فارس، (1979م)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر.

2- أحمد بن موسى، البغدادي، (1980م)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف.

3- أحمد، المتوكل، (1995م)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، المغرب، دار الأمان.

4- أبو إسحاق، الزجاج، (1988م)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب.

5- أبو البقاء، العكبري، (1979م)، الإملاء، بيروت، دار الكتب العلمية.

6- تمام، حسان، (2000)، الأصول:دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"النحو-فقه اللغة-البلاغة، القاهرة، دار عالم الكتب.

7- جار الله، الزمخشري (1998م)،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح:عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان.
8- أبو حيان، الأندلسي (1993م)،البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.
9- زهير، ابن أبي سلمى، (2005م)، الديوان، شرح: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة.
10- السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، سوريا، دار القلم .
11- السيد أحمد، الهاشمي، (م2006)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، دار الفكر.
12- الشريف، الجرجاني، (1983م)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية.
13- ضياء الدين، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مصر، دار نهضة.
14- عبد القاهر، الجرجاني، (1998م)، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة.
15- أبو عبيدة معمر، ابن المثنى، (1381هـ)، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد يزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي.
16- أبو الفتح عثمان، ابن جني، (1952م)، الخصائص، تح : محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية.
17- فخر الدين، الرازي (1981م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر.
18- ابن مالك، الأندلسي، (1982م)، شرح الكافية الشافية، تح عبد المنعم هريدي، سوريا، دار المأمون للتراث.
19- محمد الطاهر، ابن عاشور،(1984)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.
20- أبو محمد عبد الحق، ابن عطية الأندلسي، (2001م)، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية.
21- محمد، العياش، نظرية إيقاع الشعر العربي، تونس، المطبعة العصرية.

22- مصطفى شاهر، خلوف، (2009م)، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، الأردن، دار الفكر.

- **المقالات:**

1- شهرزاد، بهناس، الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية،جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، الجزائر، المجلد31، العدد1، الصفحات 381-404، 2020.

2- فضيلة، عقون، الاستعمال اللغوي وقوانينه في النحو العربي، مجلة دراسات لسانية، جامعة لونيسي علي، البليدة2، الجزائر، المجلد1، العدد4، الصفحات 102-118، 2016.

الإحالات:

[1] – أحمد، ابن فارس، (1979م)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، ص 246.

[2] – تمام، حسان، (2000)، الأصول:دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"النحو-فقه اللغة-البلاغة، القاهرة، دار عالم الكتب، ص121.

[3] – أحمد، المتوكل، (1995م)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، المغرب، دار الأمان، ص 46.

[4] – محمد، العياش، نظرية إيقاع الشعر العربي، تونس، المطبعة العصرية، ص44.

[5] – ينظر: فضيلة، عقون، الاستعمال اللغوي وقوانينه في النحو العربي، مجلة دراسات لسانية، جامعة لونيسي علي، البليدة2، الجزائر، العدد4، 2016، ص 106.

[6] – ينظر: المرجع نفسه، ص 107.

[7] – أبو الفتح عثمان، ابن جني، (1952م)، الخصائص، تح : محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية،ج1، ص259 .

[8] – المصدر نفسه،ج2، ص 360 .

[9] – السيد أحمد، الهاشمي، (م2006)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، دار الفكر، ص30.

[10] – محمد الطاهر، ابن عاشور،(1984)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ج1، ص515 .

[11] – أبو الفتح عثمان، ابن جني، الخصائص، ج3، ص 5،6.

[12] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص705 .

[13] – السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، سوريا، دار القلم، ج2، ص102.

[14] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص740 .

[15] – أبو حيان، الأندلسي، (1993م) ،البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية،ج8، ص529.

[16] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج2، ص86 .

[17] – زهير، ابن أبي سلمى، (2005م)، الديوان، شرح: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة، ص 219.

[18] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص121.

[19] – أبو محمد عبد الحق، ابن عطية الأندلسي، (2001م)، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية،ج1، ص486.

[20] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص490 .

[21] – السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج2، ص250.

[22] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص18 .

[23] – أبو البقاء، العكبري، (1979م)، الإملاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص106.

[24] – عبد القاهر، الجرجاني، (1998م)، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، ص15.

[25] – المصدر نفسه، ص5.

[26] – أبو بكر، الباقلاني، (1997)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ص112.

[27] – عبد القاهر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96.

[28] – شهرزاد، بهناس، الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية،جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، الجزائر، المجلد31، العدد1، 2020، ص381.

[29] – المرجع نفسه، ص384.

[30] – محمد الطاهر، ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج1، ص240.

[31] – جار الله، الزمخشري (1998م)،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح:عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان،ج1، ص157.

[32] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص250.

[33] – فخر الدين، الرازي (1981م)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، ج2، ص45.

[34] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص260.

[35] – أبو البقاء، العكبري، الإملاء ،ج1 ص16.

[36] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج1 ، ص454.

[37] – جار الله، الزمخشري، الكشاف ،ج1، ص257.

[38] – أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط ،ج1، ص 16.

[39] – ضياء الدين، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مصر، دار نهضة، ج2، ص 219.

[40] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص702.

[41] – ابن مالك، الأندلسي، (1982م)، شرح الكافية الشافية، تح عبد المنعم هريدي، سوريا، دار المأمون للتراث، ج2، ص586.

[42] – مصطفى شاهر، خلوف، (2009م)، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، الأردن، دار الفكر، ص23.

[43] – أبو الفتح عثمان، ابن جني، الخصائص، ج2، ص360.

[44] – مصطفى شاهر، خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، ص153.

[45] – الشريف، الجرجاني، (1983م)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ص31.

[46] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج1، ص313.

[47] – المصدر نفسه، ص341.

[48] – المصدر نفسه، ص556.

[49] – المصدر نفسه، ص737.

[50] – السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج2، ص135.

[51] – أبو إسحاق، الزجاج، (1988م)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب،ج1، ص194.

[52] – جار الله، الزمخشري، الكشاف، ج1، ص314.

[53] – أبو عبيدة معمر، ابن المثنى، (1381ه)، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد يزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، ص57.

[54] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص42.

[55] – المصدر نفسه، ص95.

[56] – السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج1، ص645.

[57] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص406 .

[58] – السمين، الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج2، ص445.

[59] – أبو محمد عبد الحق، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج2، ص199.

[60] – محمد الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص109 .

[61] – أحمد بن موسى، البغدادي، (1980م)، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ص194.